## **المحاضرة 4:** علاقة علم الدلالة بالعلوم الآخرى

يرى ليتش (leech) أن "السيمانتيك نقطة التقاء لأنواع من التفكير والمناهج مثل الفلسفة وعلم النفس وعلم اللغة، وإن اختلفت اهتمامات كل لاختلاف نقطة البداية" يظهر أن أغلب العلوم لا يمكنها الانطلق دونما الوقوف على الدلالة في بعض مصطلحاتها وقوفا على المعنى الجوهري لها بكونها مفاتيح لها؛ في هذا يقول منذر عياشي: "نستطيع القول إن علم الدلالة إنتاج مشترك بين عدة علوم، لهذا يمكن وصفه بأنه جزء من تطور المعرفة الإنسانية نفسها...إنه إنتاج خاص باللسانيات، لهذا يمكن وصفه بأنه جزء من التطور الخاص للنظريات اللسانية في رصد النشاط اللغوي، كما نستطيع القول إن علم الدلالة هو النظرية العامة للمعنى، ولهذا يمكن وصفه بأنه فرع من تصوره" يؤكد منذر عياشي على خاصية اشتراك العلوم في علم الدلالة كونه يعطيها آلية فهم معاني وجوهر مصطلحاتها الأساسية.

يبدو أن علم الدلالة لم يستقر علما إلا بعد نشوء اللسانيات في العصر الحديث على يد سوسير، وذلك على الرغم من أن ميشال برريال كان أول من بحث في الدلالة بشكل مستقل، بالإضافة إلى أنه كان زمنيا سابقا لسوسير، بهذا "فإن التطورات التي مر بها هذا العلم قد جعلته أكثر دقة في تحديد موضوعه، ولكنها أيضا جعلته يتسع فيحتوي على عدد من المعارف" نرى اليوم موضوع علم الدلالة يستدعي نوعين من "القضايا يشكلان موضوعه في البحث، غير أن كل موضوع منهما يفترق عن الآخر بمسائله الخاصة.

**علم الدلالة والسيميولوجيا:**

إن ظهور الرموز أو العلامات اللغوية وغير اللغوية ساهم كثيرا في ترقية الثقافات الانسانية وحضارته، حيث اعتبرت وسيلة للتواصل بين أفراد المجتمع، وبالتالي أصبح مفهوم العلامة اللغوية شهادة على ارتقاء الإنسان من جهة ودليل على النسق الثقافي الذي تمارس من خلاله جماعة إنسانية حياتها من جهة أخرى، فكل شيئ يحيط بالإنسان يمكن أن يتحول إلى علامات إذا استخدم في عملية التواصل لنقل رسالة ما" تختص السيميولوجيا بنسق العلامات على اختلافها، ضمن نطاق عملية التواصل تحقيقا لأهداف متوخاة.

تؤكد معظم الدراسات اللغوية أن "الأصل اللغوي لمصطلح sémiotique يعود إلى العصر اليوناني، فهو آت من الأصل اليوناني séméion الذي يعني (علامة)، و logos الذي يعني (خطاب)، وبمتداد أكبر كلمة logos تعني العلم، فالسيميولوجيا هي علم العلامات" يكون دي سوسير من بشّر بهذا العلم الذي ستكون مهمته دراسة حياة العلامات داخل احياة الاجتماعية يقول:"إن اللغة نسق من العلامات التي تعبر عن الأفكار، وإنها لتقارن بهذا مع الكتابة ومع أبجدية الصم والبكم، ومع الشعائر الرمزية، ومع صيغ اللباقة، ومع العلامات العسكرية...وإننا لنستطيع أن نتصور علما يدرس حياة العلامات في قلب

الحياة الاجتماعية، وإنه العلاماتية...وإنه سيعلمنا مما تكون العلامات وأي القوانين تحكمها" دي سوسير في محاضراته أشار من قريب إلى العلامة وأنها تعبر عن الأفكار، وهو ما بشّر بميلاد علم يخص بدراسة العلمات كيفما كانت وفي كل المجالات، وهو ما عملت عليه السيميولوجيا بشكل أوسع.

**علم الدلالة والفلسفة:**

تُحدثنا كتب الفلسفة أن البحث عن المعنى كان شغل الفلاسفة الشاغل منذ القديم، بينما أصبحت "فكرة المعنى محور الفلسفة المعاصرة، إذ لم يكتَفِ فلاسفة التحليل بجعل المعنى غاية فعل التّفلسف، بل أصبح المعنى عندهم ماهية الفلسفة وموضوعها الأوحد وغايتها في آن، إلى درجة أن حدّ بعضهم الفلسفة بأنها (تحديد المعاني)" يبدو أن المعنى صار له من المكانة ما يسمو به بين العلوم، بالرغم من إهمال بنيوية دي سوسير له، إلا أنه علم الدلالة استطاع أن يوجد لنفسه المكانة التي تليق به بين العلوم خاصة من جانب المعنى الذي ارتكزت عليه الفلسفة وجعلته المفتاح لها.

فلاسفة اليونان في تباشيرهم الأولى لفعل التفلسف كان لهم اهتمام مباشر بالمعنى فهذا سقراط "كان إذا تحدث الناس عن العدالة المتعارفة يسألهم بهدوء: ما هي شروط العدالة؟...كما تساءل الفلاسفة الإغريق عن كون العلاقة بين شكل الكلمة ومعناها ضرورية أم لا؟ وكان يرى بعضهم أنها علاقة إجبارية في حين ذهب آخرون كأرسطو إلى أنها اصطلاحية فقط" ثنائية (الكملة/المعنى) كان لها النصيب الأوفر في فلسفة سطرا، كانت مناط عمله الفلسفي كونها أعطته آلية التساؤل المعرفي عن كثير من المصطلحات.

كما تكلم "أرسطو مثلا عن الفرق بين الصوت والمعنى، وذكر أن المعنى متطابق مع التصور الموجود في العقل المفكر، وميز أرسطو بين أمور ثلاثة: الأشياء في العالم الخارجي، التصورات= المعاني، الأصوات= الرموز أو الكلمات؛ وكان تمييزه بين الكلام الخارجي، والكلام الموجود في العقل الأساس لمعظم نظريات المعنى في العالم الغربي" التمييز بين الصوت والمعنى كان منطلق ارسطو في معالجاته الدلالية ضمن ثلاثية (العالم/ المعاني/ الكلمات) وتلك كانت محور التصور الدلالي في فكره.

تحدث أفلاطون عن قضايا اللفظ والمعنى وذلك في "محاوراته عن أستاذه سقراط. وكان اتجاه أفلاطون نحو العلاقة الطبيعية الذاتية، مدعيا أن تلك الصلة الطبيعية كانت واضحة سهاة التفسير في بدء نشأتها، ثم تطورت الألفاظ ولم يعد من اليسير أن نتبين بوضوح تلك الصلة بين اللفظ والدلالة لا تعدو أن تكون صلة اصطلاحية عرفية تواضع عليها الناس" العلاقة بين الألفاظ والمعاني كانت مدار الحوار بين ثنائي الفلسفة اليونانية، فبين الطبيعية والذاتية والاصطلاحية والعرفية دار السجال المعرفي.

إن أول ظهور لعلم الدلالة كان في كتب المنطق من حيث أنه من المقدمات العامة، ويعود الفضل في وضع تفاصيل دقيقة لعلم الدلالة وأقسامها إلى النقد المتواصل الذي أخضعت له المفاهيم التي وضعها أوائل الفلاسفة العرب للدلالة ك(الفارابي) و(ابن سينا) و (الغزالي) متأثرين في ذلك بالمعطيات اليونانية" يحتاج المنطق إلى علم الدلالة كون هذا الأخير يتيح للمنطق الدقة في التعرف على الكلمات وأقسامها والوقوف على المفاهيم بالنقد والضبط. وهو ما وقف عليها فلاسفة الإسلام أمثال: الفارابي وابن سينا والغزالي. فالمتأمل في المفاهيم والمصطلحات الشائعة في علم الدلالة عندهم يلاحظ "تأثرهم الواضح بالمدؤستين اليونانيتين (المشائية والرواقية)، لكن علم الدلالة رغم كونه ظهر في كتب المنطق إلا أن تطوره يعود غلى التحاور بين المنطق وعلوم المناظرة وأصول الفقه والتفسير والنقد الأدبي والبيان" المحاورات بين العلوم تعطي المصداقية لها، تكون الاحتكاك والتساؤلات المعرفية تفتح العلوم على بضها تأثرا وتأثيرا، وهو ما لمسناه في كثير من علوم العرب كالفقه واللغة والنحو والمنطق.